رواية

عفاريت صغيرة

أشرف السيد

عفاريت صفية

هما الأشباح والعفاريت ليهم عمر؟! ويترى بيعيشوا كام سنة؟ السؤال ده مارحش عن بالي من أول ليلة ليا في دكان صفية.. شوفت حاجات عمري ما كنت مصدقها لحد ما شوفتها بعيني، طول عمري بسمع من الناس لكن دي أول مرة اشوف.

عفاريت صفية

انهاردة انا اشتريت دكان وهبدأ اشتغل فيه والأرزاق على الله، أمي باعت صيغتها علشان تساعدني أدفع تمن الدكان والنهاردة هروح انضف المكان وأرش ماية وأعلق اليافطة الجديدة بتاعتي وانزل البضاعة اللي اتفقت عليها مع التاجر وكمان أرصها في الدكان ، وفعلا روحت وبدأت أمسح التراب عن الباب وانا متشوق أفتحه وطلعت المفتاح من جيبي وفتحت الباب هو صحيح باب قديم وكنت حاسس إنه هيتخلع وانا بفتحه لكن مش مشكلة هبقى أجيب باب غيره، المهم دخلت ولقيت الدكان مليان تراب وريحته زي الزفت ماهو مقفول بقاله زمان ده غير خيوط العنكبوت اللي في كل حته، بس مش مشكلة انا هنضفه وأخليه يلمع.

وكان فيه في النص طرابيزة كده مدورة زي الطبلية والدكان موجود فيه الأرفُف القديمة لسه زي ما هي ودي هستخدمها مش هغيرها، بدأت أنضف الدكان واللي لفت انتباهي الباب كان عمال يفتح ويقفل ويزيق بصوت مزعج وبررت المشهد بإنه باب قديم وعلشان كده بيزيق، لكن اللي ملقتلوش مبرر هو الشعر الأسود الطويل اللي لقيته على الأرض وانا بكنس، مسكته في إيدي وسألت نفسي يترى الشعر ده وصل لهنا إزاي، ولأني مشغول ومستني التاجر رميت الشعر على الزبالة وولعت في الزبالة وحرقتها وكانت ريحتها وحشة جدًا خصوصًا وهي بتتحرق حتى جاري عم "جمال" اللي ساكن قريب من الدكان جه اشتكى من الريحة ولما لقاني انا اللي فاتح الدكان وواقف فيه وبنضف قرب من الدكان وقالي:

_الله، الله.. هو انت يا "محمد" يا ابني اللي اشتريت الدكان؟

وقبل ما أكمل الحوار اللي دار بيني وبين عم جمال هعرفكم بنفسي واقولكم ليه اشتريت دكان صفية ومين هي صفية

عفاريت صفية

أنا اسمي محمد عندي 29 سنة عايش مع مراتي وابني وأمي، كنت بشتغل سواق على عربية بضاعة باخد البضاعة من التجار وبوزعها على الدكاكين، وطول عمري نفسي يبقى ليا دكان ملكي ابيع فيه واشتري وعلشان كده اشتريت دكان صفية، مكنتش أعرف مين صفية دي انا اشتريت الدكان من واحد اسمه "عبدالله الدسوقي" المهم خلوني احكيلكم عن السر اللي اكتشفته ورا صفية ودكانها.

لما عم جمال سألني وأكدتله إن انا اللي اشتريت الدكان اتفاجئت لما لقيته بيقولي:

_الله! إزاي يبيعوا لك الدكان، اللي أعرفه إن دكان صفية مايتباعش ولا ينفع يروح لحد برة عيلة الدسوقي.

_جرا إيه يا عم جمال؟! انت مش عاوزني أخد الدكان ولا إيه؟!

_يا ابني كنت شوفلك دكان في حتة تانية يكون رزقها واسع، ده مقفول أديله سنين.

_ادعيلي انت بس وان شاء الله ربنا هيكرمني.

مشي عم جمال وهو بيدعيلي، كنت حاسس إنه عاوز يقولي حاجة واتردد ورجع في كلامه... المهم خلصت تنضيف الدكان واستقبلت البضاعة من التاجر اللي كنت متفق معاه وبدأت أرص البضاعة في المحل، لكن اللي حصل فجأة وانا بفتح الكراتين بإستخدام سكين حادة جرحت إيدي بالغلط، بس كان الجرح صعب ونزف دم كتير على الأرض وقتها لما الدم نزل على الأرض ظهر أثر لدم قديم كان موجد وناشف ولازق في البلاط مشيت مع خط الدم القديم ولقيت إن بداية الدم جاية من عن العتبة مدخل الدكان، غريبة أوي أنا لولا ما إيدي اتجرحت ونزفت مكنتش هشوف الدم ده أصلا، ونوعية البلاط دي مش بتنضف بسهولة، يعني البقعة اللي تسيب آثر.. أثرها بيقعد بالسنين، حطيت مناديل على الجرح وجبت الشرشوبة وحاولت أنضف الدم وقعدت أمسح، لكن مجرى الدم القديم مابيتمسحش مهما حاولت أمسحه

عفاريت صفية

وقتها كملت شغلي عادي وبدأت ألزق على الحيط صور عليها آيات قرآنية، وانا بعلقهم افتكرت الصورة اللي كانت متعلقة هنا وانا حطيتها على واحد من الأرفف، والصورة دي قديمة أبيض واسود وهي صورة راجل عجوز ولابس طربوش، معرفش مين الراجل ده، بس كل حاجة هنا بتقول إن الدكان وراه سر قديم وانا بصراحة بدأت أقلق، اتصلت بالعمال اللي هيشيلوا اليافطة اللي عليها اسم دكان صفية علشان خلاص هعلق يافطة جديدة بإسمي انا، لكن العمال قالو هييجوا بكرة، قفلت الدكان بعد ما خلصت ورجعت البيت وقولت هعمل الإفتتاح من بكرة بعد ما أعلق اليافطة الجديدة... أول ما وصلت للبيت حكيت لأمي كل حاجة حصلت معايا انهاردة وهي أدتني مصحف وقالتلي:

_خد يا محمد يا ابني المصحف ده حطه هناك في الدكان علشان ربنا يحميك ويباركلك في رزقك.

_أمي انا فاكر زمان وانا صغير لما كنا ساكنين في المنطقة اللي فيها الدكان وكانوا العيال في الشارع بيقولوا إن فيه عفريته جوه الدكان ده وكنا بنخاف نلعب بالليل في الشارع، بس لما كبرنا نسينا الحكايات دي ومحدش بقى يفتكرها، حتى جدة صاحبي كانت بتحكيلنا حكايات غريبة عن صفية والدكان وكنا بنخاف من الحكايات اللي بتحكيهالنا، ومحدش فينا صدق الكلام الفارغ ده، وانا النهاردة بعد ما قضيت يوم في الدكان جاي أقولك إن انا حاسس بحاجة غلط.. وعاوز أصدق الكلام اللي بسمعه، بس العقل رافض يصدق حواديت ست عجوزة كانت بتحكيها للأطفال.

_يا ابني اسمعني كويس الشارع واقع بين حارتين وكان زمان أوي فيه كبارية وحمام زي حمام التلات وبيقولوا فيه أفلام أبيض واسود اتصورت هناك، ده غير الإنجليز اللي كانوا بيجوا يسهروا ويسكروا هناك، ومع الزمن كل حاجة اتغيرت وطلعت أبراج وعمارات ومفيش حاجة على حالها، عيلة الدسوقي هما اللي مرضيوش يبيعوا الدكان من زمان واهو النهاردة بقى بتاعك وبكرة تكبره وتعمله زي الأبراج اللي حواليك.

عفاريت صفية

كلام أمي طمني لكن اللي خلاني رجعت قلقت تاني وانا نايم بالليل لما اتصل بيا رقم غريب وقالي:

_إلحق يا محمد تعالى بسرعة الدكان بتاعك بيولع، والنار في كل حته.. إلحق يا ابني محدش قادر يقرب من الدكان.

اللي كلمني ده يبقى عم جمال عرفته من صوته ، قومت مفزوع وجريت روحت الدكان وكانت النار في كل حته والناس واقفين بره بجرادل المايه والخراطيم، لكن بمجرد ما فتحت الباب النار اتطفت لوحدها، الأغرب من كده إن النار دي محرقتش حاجة أصلا ولا خلفت وراها رماد والدكان لسه زي ما هو، الحاجة الوحيدة اللي اتحرقت هي الصور اللي عليها آيات قرآنية.. حتى الناس كلها استغربت من اللي حصل وفي وسط الذهول اللي احنا فيه عدى علينا "عوض" السمكري وهو بيقول:

_مش خايفين من صفية؟ .. صفية عمرها ما سابت حقها لحد، دكان صفية اتفتح ومعاه فتحتوا على نفسكوا أبواب خراب ونار ملهاش آخر.. اهربوا قبل ما يحل عليكم الموت والخراب.

السمكري ده يبقى واحد كان بيصلح الحاجات البايظة وخسر محله وكل فلوسه ومن بعدها اتجنن وبقى بيمشي يخرف في الشوارع، صحيح الجملة اللي قالها دي غريبة أوي، وفي الليلة دي سمعت جُمل تانية أغرب كلها بتتكلم عن صفية وعن الدكان كلام كتير زرع الخوف جوايا... بعد ما الناس مشيت قفلت الدكان ومشيت انا كمان، رجعت البيت حتى قبل ما امشي اتأكدت إن كل حاجة تمام في الدكان يعني.. أحسن تحصل حاجة زي دي تاني حرايق يعني، انا لحد دلوقتي لسه بفكر بالمنطق ومش مقتنع بالكلام اللي الناس بتقوله، ما هي الناس ياما بتتكلم.

وعلى نفس الخطوات تاني يوم روحت فتحت الدكان وقعدت استنى العمال اللي هيغيرولي اليافطة، وبعد ساعات بدأت الناس تشتري مني، اتفائلت وقولت ده أكيد بركة دعوات أمي وخلاص هلاقي رزقي وأكل عيشي هنا

عفاريت صفية

وعدى اليوم لحد المغرب حتى مراتي اتصلت بيا علشان أرجع أتغدى في البيت بس انا رفضت انا لازم أركز في شغلي ده انا لسه فاتح المحل النهاردة، وانا قاعد في المحل فجأة لقيت "عبدالله الدسوقي" داخل عليا ده يبقى الراجل اللي انا اشتريت منه الدكان.. وقبل ما يقعد طلع من جيبه كيسة سودة ورماها قدامي، وقالي:

_خد دي فلوسك يا معلم محمد، انت كده فلوسك في إيدك وانا مش هاخد منك الدكان.. يعني خليك فاتحه واسترزق منه وربنا يكرمك، انا مش هاخد منك الفلوس دي إلا لما تستقر في الدكان وترتاح وتتأكد إنك مش هترجع في كلمتك.

_أيوه يا استاذ عبدالله، لكن ده احنا مضينا العقود.

_لا، لا.. كده انا هبقى مطمن وانا واثق إنك راجل حقاني، وعلشان انا سمعت كلام كتير يمس الدكان ومايرضينيش أورطك في الدكان وهو سمعته بالشكل ده.. هستأذن أنا واسيبك تشوف شغلك.

لما مشي الأستاذ عبدالله الفرحة اترسمت على وشي، بس انا كده اقدر اشتغل وانا مرتاح نفسيًا وكلها شهر وارجعله الفلوس تاني، وفي وسط ما انا فرحان والإبتسامة على وشي وفجأة يدخل عندي عوض السمكري ويبدأ يحكيلي ويقول:

_الأرض اتغيرت والناس جه مكانها ناس ومحدش لسه على حالو إلا صفية، إلا هي لسه بتحمي الدكان... هي بتيجي هنا، انا بشم ريحها وبحس بوجودها، هي هنا دلوقتي، خاف على نفسك من الخراب والموت اللي هيحاوطك من كل جانب واهرب.

لما قال الجملة دي برطمان الصلصة وقع على الأرض واتكسر من غير أي سبب، وباب الدكان اترزع واتقفل لوحده، كأن فيه حاجة بتحذرنا من المكان ولا كأنه زلزال والدكان هيقع على دماغنا.. في اللحظة دي انا اتخنقت من الراجل ده علشان كده زعقتله وطردته بره، وهو خارج كانت داخلة الحاجة "خيرية" كلنا هنا بنقولها يا جدتي وتبقى جدة صاحبي اللي كانت بتحكيلنا زمان حواديت الرعب

المهم وهي داخلة قالت:
_متزعقلوش.. سيبه ده مسكين، انا أول ما عرفت إن دكان صفية اتفتح طرت من الفرحة وقولت لازم أجي أشوف بنفسي وأبارك، اسمع يا ابني تاخد بالك من نفسك ومن الدكان وبإذن ربنا مش هيحصل حاجة وأوعى تخاف.
وهي بتكلمني راحت ناحية الأرفف اللي في زاوية الدكان وحركت الرف على جمب كده للحظة ظنيت إنها كسرت الرف، ودخلت إيدها بين الحيط والرف، كأنها لقيت مخزن سري، لقته إيه؟! دي عارفة مكانه كويس، كنت مستغرب ومستنيها تتكلم وتقولي هي بتعمل إيه!! وفعلا مشيت على عكازها وقربت مني وقالتلي:
_ورا كل رف من دول خزنة صغيرة كانت صفية بتخبي الأمانات لحد ما تسلمها لأصحابها.. أمانة عليك بلاش تشيل اليافطة وتغير اسم دكان صفية، سيبه.. سيبه زي ما هو، هي اللي قالتلي أجيلك وأقولك سيب كل حاجة زي ما هي.
كانت بتقولي كده وهي ماشية ناحية الباب وخرجت، المهم أنا أصلا كده كده مكنتش هغير اليافطة، لأن الأستاذ عبدالله رجعلي الفلوس.. واحتمال مكملش في الدكان ده، بس غريبة أوي الأرفف اللي وراها جيب سري، ده انا نفسي مخدتش بالي من حاجة زي دي.
أخر جملة قالتها الحاجة خيرية كان لازم أقف عندها، يا إما إنها ست كبيرة وبتخرف يا إما إنها بتتواصل مع الأموات.. وفي الحالتين انا هعتبر إني ماشوفتش الست دي النهاردة.
وانا قاعد سندت دماغي على الطرابيزة المدورة اللي كانت موجودة في الدكان، غصب عني غمضت عنيا وكنت هنام ولما فتحت في اللحظة دي شوفت قدامي ست بضفاير طويلة وبتبصلي وملامح وشها بتقول إنها غضبانة أوي.. للحظة كدة فكرتها زبونة وجاية تشتري، لكن أنا مكنتش قادر أتحرك من مكاني.. زي ما أكون اتشليت وكمان صورتها مشوشة قدامي وهي منطقتش بولا كلمة لكن دي رفعت إيدها وكانت عروقها بارزة بشكل مخيف

عفاريت صفية

وفي ثانية كده خبطت خبطة جامدة على الطرابيزة بسببها قومت مفزوع وملقتش حد قدامي يظهر كنت بحلم ولا بيتهيألي، أخدت نفسي وشربت بوق ماية، وقتها حسيت بحاجة دافية نزلت على رقبتي مسحت بإيدي واكتشفت إن اللي نزل على رقبتي ده دم.. اتخضيت وبصيت للسقف ونزلت قطرة دم على وشي رغم إن مكنش فيه أي فتحة في السقف.. خوفت واتحركت شوية بحيث إن الدم ماينزلش على دماغي لكن لقيت رجلي بتدوس على بقعة دم جاية من عند عتبة المحل، خرجت أجري بسرعة علشان أنده لحد من الشارع يشوف اللي بيحصل في الدكان بس بمجرد ما خرجت لقيت باب اترزع واتقفل ورايا، ولما خرجت بره ملقتش حد.. كانت المنطقة كلها مقطوعة معرفش هي الناس راحت فين؟!

شوية كده بدأت أطمن نفسي واتحركت ناحية باب الدكان، حاولت أفتحه وقعدت أضغط عليه لحد ما قدرت أفتحه.. وبمجرد ما اتفتح لقيتها قدامي الست اللي شوفتها لما نمت على الطرابيزة، وضفايرها طايرة في الهوا، ولا الدم اللي بينزل على وشها المتشقق.. كنت حاسس قلبي هيقف من المنظر اللي شوفته بعنيا شيلت إيدي من على الباب.. في اللحظة دي الباب اترزع تاني في وشي.. وانا مستنيتش دقيقة واحدة، أخدت ديلي في سناني وجريت... وعلى أول الشارع وأنا بجري قابلت عم جمال، اللي وقفني وهو بيندهلي وقالي:

_مالك يا محمد.. فيه إيه يا ابني؟ بتجري كده ليه؟!

وقفت وانا بنهج وعرقان وببص ورايا.. بدأت أحكيله اللي حصل معايا في الدكان ونهيت كلامي وانا بقوله:

_انا معرفش مين الست دي.. دي شكلها اللهم أحفظنا عفريته.

_عفاريت إيه يا ابني، تعالى معايا بس... ده انت تلاقيك منمتش كويس وبيتهيألك.. يلا، يلا... لو قولت الكلام ده لحد هيتريق عليك.

مشيت وراه وروحنا عند الدكان ولقينا الباب مفتوح

عفاريت صفية

مشيت وراه وروحنا عند الدكان ولقينا الباب مفتوح
ومفيش أي حاجة غريبة وكان فيه عيل صغير من المنطقة جاي يشتري مني طلبات وقالي:
_إيه يا عمو ده انا كنت همشي وندهتلك وانت جريت مردتش عليا.
وقتها عم جمال خبط على كتفي وقالي:
_أهو مش قولتلك مفيش حاجة؟ اطمنت دلوقتي.. ادخل شوف أكل عيشك يا ابني الله يباركلك.
إزاي؟! ده انا متأكد من كل حاجة شوفتها.. هو إيه اللي بيحصلي ده... كملت شغلي عادي، وعلى أخر اليوم كده جيت أقفل الدكان علشان أروح البيت، لكن اللي حصل لما قفلت الشباك وطفيت النور ومشيت ناحية الباب علشان أخرج من الدكان الباب اتقفل وانا اتحبست جوه الدكان وبدأت أحس بالرعب والخوف بسبب الحركة الغريبة اللي بدأت أحس بيها حواليا، وكنت حاسس بموجة هواء شديدة جات فجأة خلت الباب اتفتح واستغليت الفرصة خرجت بسرعة وبمجرد ما خرجت اتكعبلت في العتبة ووقعت على الأرض جامد واتعورت في دماغي حطيت إيدي على الجرح ولقيته بينزف، قلقت وقفلت الجرح بالمنديل وبعدها مشيت على البيت علطول، ومش فاكر إذا كنت قفلت باب الدكان بالقفل ولا سبته مفتوح، بس لما رجعت البيت الحمدلله كان الجرح بسيط، لكن لقيت أمي تعبانة ومش قادرة تاكل ولا تتكلم ومراتي قالت إنها اتصلت بيا كتير لكن موبايلي مقفول.. مستنتش كتير وغيرت هدومي واخدت أمي وديتها المستشفى وهناك دخلت العناية المركزة وانا قعدت جمبها طول الليل في المستشفي ولسه مخفتش وأول ما طلع النهار جات مراتي وقالتلي:
_يا محمد روح انت افتح الدكان وشوف أكل عيشك وتبقى تناملك شوية وسيبني انا مع والدتك وهحطها في عنيا متقلقش

عفاريت صفية ٢

مراتي صممت إن انزل وهي تقعد مع أمي وهو ده اللي حصل نزلت وروحت الدكان ولقيت السمكري واقف عند الباب زي ما يكون مستنيني وفعلا أول ما شافني جري عليا ومسكني من هدومي وقالي:

_أمشي.. أمشي من هنا، مترجعش تاني صفية هتقتلك انت وعيلتك كلها.

زقيته ووقعته على الأرض وفتحت الدكان بتاعي عادي، ودخلت ما انا مش ناقصه هو كمان... لقيته بيشاورلي على سطح الدكان، رفعت عيني لفوق ببص شوفت الست دي طايرة في الهوا فوق الدكان وضفايرها الطويلة بتتحرك حواليها، رجعت أبص تاني للسمكري لقيته نزل إيده ولما بصيت لفوق تاني ماشوفتش حاجة، حسيت كأن حد خبطني على دماغي من الصدمة هو اللي شوفته ده بجد، رجعت شعري لورا وبعد ما فتحت وروقت الدكان بدأت الزباين تهل، ده انا حتى مكنتش عارف اتصل بمراتي اطمن على أمي، وكل شوية السمكري يجي يضاقني ويضايق الزباين بكلامه الغريب، وفي كل مرة انا بطرده، وقعدت في الدكان طول اليوم وبعت كتير لدرجة إن البضاعة قربت تخلص وعلشان كده كلمت التاجر واتفقت معاه ينزل بضاعة جديدة، وكلمت مراتي وقالتلي:

_ يا محمد الأدوية خلصت ومحتاجين أدوية ولازم تيجي تجيبها، علشان مامتك تعبانة أوي.

_انا جاي متقلقيش معايا فلوس.. وهجيب كل حاجة.

وفعلا قفلت باب الدكان وروحت المستشفى قعدت مع أمي وجبتلها العلاج بتاعها وعلى بالليل كده، رجعت على الدكان تاني، واتفاجئت لما لقيت عربية التاجر واقفة قدام الدكان ومفيش حد جوه العربية قولت تلاقي التاجر لما لقاني اتأخرت، وقف العربية هنا وراح يصلي ولا بيعمل حاجة وروحت فتحت باب الدكان ودخلت وقتها نورت اللمبة واتفاجئت لما لقيت التاجر واقع على الأرض ومتعور في دماغه، قومته بسرعة وقعدته على كرسي وبدأت أعالجله الجرح

أما هو اتنهد وبدأ يحكيلي:
_انا قعدت أندهلك وأخبط على الباب لكن محدش رد عليا، ولما الباب اتفتح دخلت ولقيته فجأة اترزع جامد واتقفل ورايا حاولت أفتحه لكن متفتحش، خوفت وقعدت أخبط على الباب من جوه، لكن فجأة سمعت صوت واحدة ست بتضحك بصوت عالي والصوت ده جاي من ورايا اتلفتت ملقتش حاجة وفجأة شوفت قدامي ضفيرة شعر أسود طويلة اتلفت حوالين رقبتي وشدتني جامد ووقعت على الأرض واتعورت في دماغي وشوفت الدم على إيدي وكانت الست عمال تلف حواليا شوفت رجليها وضفايرها بيتحركوا حواليا وبعدها حسيت بنفس دافي بيقرب مني في اللحظة دي غمضت عنيا وفتحت لقيت وشها قريب أوي من وشي وكان وشها متشقق وبينزل دم، والدم نزل على الأرض قدام عيني وبعدها صرخت صرخة عالية أوي، صوتها اتردد في المكان كله، وانا كنت مرعوب وقلبي هيقف، وفعلا أغمى عليا لحد ما انت جيت وفوقتني.
_متخافش.. انت كويس.
_انا عاوز أمشي من هنا.. خليني أمشي من هنا.
قالي الكلمتين دول وهو خارج من الدكان وبيجري ناحية العربية وركب العربية بسرعة ومشي من غير ما يسلمني البضاعة، وباين عليه إنه تعبان كده ومش مركز.. وانا كمان مركزتش معاه وقولت أبقى أطلب البضاعة من تاجر غيره، وقعدت وانا بفكر في الكلام اللي حكاهولي التاجر دلوقتي، هو إيه اللي خلى الباب يتقفل عليه من الأساس، انا قلقان من ناحية الدكان ده، وليه عبدالله الدسوقي باعهولي انا تحديدًا بالذات لما عرف إن انا هفتحه استرزق منه، وتلاقي ناس كتير عرضت تشتريه..

عفاريت صفية

بس هو رفض، دلوقتي انا لازم أعرف إيه اللي ورا الدكان، وانا بفكر وبكلم حد في التلفون فجأة حسيت إن الأرض تحت رجليا اتهزت كده واتحركت حركة غريبة، لدرجة إن انا قولت يكونش زلزال وخرجت برة الدكان... ولما لقيت الدنيا تمام ومفيش حاجة رجعت للدكان تاني، كنت بكلم "فارس" صاحبي هو اللي شار عليا إن انا اشتري الدكان ده وأبطل اشتغل لحد.. واشتغل لنفسي، وطلبت منه يجيلي وفعلا جالي في الدكان ما هو متربي معايا في نفس المنطقة، ولما جة قعدنا نتكلم وهو قالي:

_اسمع يا محمد الدكان انت اشتريته بتراب الفلوس وغيرك عاوزينك تسيبه علشان ياخدوه.. وكل ده علشان يخلوك تسيبه وتعرضه للبيع.

_انت عندك حق، بس ده انا كمان بحس بحاجات وبشوف حاجات.

_ما هما لازم يعملوا كل حاجة تطفشك من الدكان، متشغلش بالك.. انا هبقى أبعتلك الشيخ "عطية" ده راجل مبروك، ولو فيه حاجة في الدكان هيعرفها.

_بقولك إيه انا مش ناقص تجيبلي ساحر ولا دجال من بتوعك، ده لو مفيش عفاريت العفاريت هتحضر على نفسهم.

فارس ضحك جامد وقالي:

_اسمع مني يا محمد وأوعى تفرط في الدكان بالسهولة دي.

سمعت لكلام فارس واتمسكت بالدكان، بس أه لو أعرف إيه اللي ورا الدكان ده، وعلشان كده قولت لفارس:

_ماتيجي معايا، انا بفكر أروح المقابر... تحديدًا كده عند مقابر عيلة الدسوقي.

_لا بقولك إيه بطل جنان، واحنا نروح المقابر ليه؟

_كنت عاوز أشوف قبر صفية.

_اعقل وكفاية عليك دكانها، انا ماشي

عفاريت صفية

لما فارس مشي سألت عن مقابر عيلة الدسوقي، وروحت بسرعة وهناك لقيتهم كاتبين الأسماء على المقابر ومنها عرفت أحدد قبر صفية وقفت حوالي عشر دقايق وانا بقرأ قرآن في سري، وبعدها مشيت ورجعت الدكان تاني، يدوب قعدت اتصلت بيا مراتي وطلبت مني أروح لأمي على المستشفى، وباين على صوتها التوتر وهي بتتكلم خوفت يكون أمي جرالها حاجة.. وانا قلقت وروحت علشان أطمن على أمي... لما وقفت جمبها وهي نايمة على سرير المستشفى وشوفت قد إيه تعبانة بدأت أعيط زي الطفل الصغير فجأة لقيتها فتحت عنيها وبدأت تمسك إيدي وتقولي:

_سيبه.. سيبه يا ابني، كفاية انا خايفة عليك.

هي مكنتش قادرة تتكلم ومانطقتش تاني بولا كلمة وفجأة دخل الدكتور والممرضات وخرجوني وبعد حوالي ساعة الدكتور خرج من جوه وقالي:

_والدتك اتوفت، البقاء لله.

بعد الجملة اللي قالهالي الدكتور مفيش وصف ولا كلام يعبر عن حزني على أمي.

تمت الدفنة وعملت العزا، وبعد كام يوم رجعت تاني أفتح الدكان بتاعي واشتغل، وقتها جالي السمكري وأديتله أكل وقولتله:

_أخرج.. يلا أخرج بره الدكان.

استجاب ليا وهو خايف مني وقالي وهو خارج:

_امشي ومتجيش هنا تاني ومتفتحش الدكان، متعرفش الدور على مين بعد موت أمك.

_أمشي، أمشي من هنا يا مجنون انت.. هو انا كنت ناقصك انت كمان.

وفي نفس الوقت دخل الأستاذ عبدالله الدسوقي، وسمع الكلام اللي قاله السمكري، لقيته يبطبطب عليه وبيخرجه بره ورجع قالي:

_السمكري أجّر مني الدكان قبل كده، قبل ما يحصله اللي حصل

عفاريت صفية

_إيه؟! هو السمكري كان عاقل زي وزيك؟! وإيه اللي حصل؟
_وأعقل مننا كمان، هو راجل صعيدي جه من سوهاج ومعاه مراته وولاده وأجر الشقة القديمة والدكان فتحه محل حدادة يعني حداد وبقى السمكري واللي حصله في خلال اسبوع واحد ماتت مراته وولاده بسبب انبوبة بوتجاز سربت الغاز في الشقة واتخنقوا لأن الشقة كانت متقفلة وماتوا، وفي نفس اليوم النار ولعت في الدكان واتحرقت كل حاجة تخص "عوض السمكري" ومن وقتها وهو على الحال ده، بيلف على الأرصفة ويرجع يقعد هنا تاني، كتر خيره ما هو اللي شافه مش قليل.
_انا مش مصدق اللي انت بتحكيهولي... انا حتى أول مرة أعرف إن اسمه عوض، وبعدين إيه اللي حصل بعد الحادثة دي؟
_محدش جه يأجر الدكان تاني، وكلهم عاوزين يشتروه علشان يهدموه ويبنوا مكانه برج زي الأبراج الحديثة اللي في كل حته، وأبويا الله يرحمه رفض وكان موصيني إن الدكان يفضل دكان زي ما هو.. المهم لما عرفت ان انت هتفتحه دكان زي ما هو وافقت ابيعهولك.
_أه بس هي صفية تبقى قريبتك إزاي.
_صفية دي تبقى جدتي مامت أبويا.. وأبويا ورث عنها الدكان، وماتت في حادثة زمان وهي صغيرة.
_على كل حال انا هكمل الشهر ده في الدكان وهرجعلك فلوسك لحد عندك، يا إما أرجعلك الدكان ونتفق ودي.
_انت جدع يا محمد، وانا عملت معاك كده.. علشان أعرفك وأعرف أهلك كويس. الأستاذ عبدالله راجل محترم، قالي الحقيقة وانا مقدر كل اللي عمله معايا، كملت يومي في الدكان وعلى بالليل كده وانا بقفل الدكان وماشي، ظهرت قدامي على الحيط خطوط دم والحيط بدأت تتشقق، زي ما تكون هتقع على دماغي، خوفت ورجعت لورا وانا قلبي مقبوض لحد ما وصلت للزرار اللي شغلت منه اللمبة ومع الإضاءة اللي نورت المكان ملقتش حاجة من اللي شوفته

عفاريت صفية

رجعت طفيت النور تاني وخرجت لقيت بره ناس بتوزع ورق كده زي ورق الإعلانات وأول ما أخدت الورقة لقيتها ورقة دعوة للناس تروح تسمع شيخ كبير هيجي في جامع قريب مننا، وكمان عم جمال جه قالي:

_الشيخ "جاد" راجل متدين ويعرف ربنا ابقى خليه يجي يقرألك قرآن علشان الدكان ينضف من اللي فيه، ولا انت لحد دلوقتي مش واخد بالك.

_طب.. كنت بقولك لو ينفع تكلمه انت؟ انا فعلا شايف إن انا محتاج شيخ بس مش عارف اجيبه إزاي لو عرف حاجة عن الدكان.

_خلاص سيبها عليا انا هكلمه، بس مش هنقوله حاجة، احنا نقوله إن الدكان مقفول بقاله سنين وعاوزين البركه تدخله.

اتفقنا انا وعم جمال وروحنا الجامع مع بعض بعد صلاة العشا الشيخ طلع المبر وبدأ يتكلم عن التاريخ المصري وقد إيه مصر عظيمة وانتصرت على كل الأعداء اللي احتلوها ومصر بلد قوية ومفيش حاجة قدرت تكسرها، لحد ما احتلوها الإنجليز وانتصرت عليهم وهو بيتكلم عن الإنجليز قال حاجة مهمة أوي إن المنطقة اللي احنا فيها دي كانت من مناطق المقاومة ضد الإحتلال الإنجليزي وإن المقاومة كانت بتتجمع في الأماكن الضيقة واللي مستحيل عساكر الإنجليز يتوقعوها، وبعد ما اتكلم شوية عن التاريخ رجع قرأ قرآن مرة تانية، وبعد الخاتمة قال للناس ينصرفوا..

وقتها عم جمال قرب منه وقاله على موضوع الدكان، وفعلا الشيخ "جاد" رحب بينا ووافق إنه يجي معانا، وجبته عندي الدكان وبمجرد ما فتحت الباب والشيخ خطى برجله من جوة واللمبات كلها اطفت وبقينا منورين بكشافات الموبايل وبدأ الشيخ يقرأ قرآن وأثناء ما هو بيقرأ الشبابيك بتتفتح وتتقفل لوحدها، والحاجات بتقع من على الأرفف، وحاجات بتتزحلق على الأرض حتى جتني اتلبشت ومبقتش قادر أستنى في الدكان لحظة واحدة رغم إن الشيخ مستمر بيقرأ قرآن

عفاريت صفية

وبيردد أدعية تجب الرزق وانا مشغل كشاف موبايلي وشوفت على الأرض ضفاير شعر اسود كتير اوي والضفاير بتتحرك وبتتلف حوالين الكرسي اللي قاعد عليه الشيخ، وحوالين رجليا انا كمان وانا كنت بردد قرآن مع الشيخ مع إني مرعوب ومش عارف اتصرف إزاي، وعاوز أجري وأسيب الدكان، وأول ما الشيخ خلص وخرجنا بره الدكان اللمبات رجعت اشتغلت ولما دخلت جوه ملقتش أي حاجة، خرجت تاني على صوت الشيخ وهو بيندهلي وحط إيده على كتفي وقالي:

_اسمع يا محمد انت تصلي وتقرب من ربنا وتدعيله وإن شاء الله ربنا هيحميك، ومفيش حاجة هتقدر تأذيك.. ربنا كبير، وانت توكل على الله وابقى هات تسجيل ولا راديو وشغله على إذاعة القرآن الكريم وسيبه شغال ال24 ساعة.

_أيوه يا شيخ بس انا خايف أوي، وأوقات كتير مبعرفش أتصرف إزاي.

_أوعى تخاف، انت صاحب حق، الضعيف بس هو اللي بيخاف.

مشي الشيخ بعد ما قالي الكلام ده، رغم إننا ماقولنالوش عن اللي بيحصل في الدكان بس هو عرف بنفسه من اللي شافه جوه، وانا قررت أعمل زي ما الشيخ قالي وجبت راديو وشغلته وسبته في الدكان وقعدت 3 أيام مابروحش الدكان خالص ولما روحت لقيت الراديو اتحرق ومش شغال قولت يمكن علشان اشتغل كتير ولما حاولت اشغله فضل يعمل صوت صريخ وضحك وبعدها اتقفل لوحده ومشتغلش تاني حتى انا اتخضيت من الأصوات اللي سمعتها خرجت منه، صريخ وضحك وجملة كده سمعتها متشوشة "الموت.. النار.. الخراب" خوفت مش عارف إيه المقصود من الكلمات دي

عفاريت صفية

ركنته ونزلت بضاعة جديدة وانا حاطط السلم الخشب وبطلع عليه السلم وقع بيا وانا بقع لاحظت إن بلاط الأرضية بيتخلع، قولت ده أكيد علشان الدكان قديم والبلاط محتاج يتغير ومحطتش في دماغي ما انا مكنتش متخيل إيه اللي ممكن ألاقيه تحت الدكان، خلصت ورتبت البضاعة على الأرفف وخرجت بره لقيت الحاجة خيرية بتسند على عصايتها وجاية عندي، رحبت بيها وقعدتها ولما ارتاحت شوية قالتلي:

_نويت على إيه يا محمد؟

_نويت على إيه إزاي مش فاهم؟!

_هتقفل الدكان؟؟!

_لحد دلوقتي انا بشتغل فيه وباكل منه عيش.

_صفية مش هتسيبك.. روحها لسه موجودة في المكان، وهي عايشة الكل كان بيعملها ألف حساب، عمرها ما سمحت لحد ياخد منها حاجة ولا عمرها وطت راسها لحد.

_انتي بتتكلمي كده ليه؟ انا مش خايف.. انا اشتريت الدكان وبقى ملكي ومش هسيبه، ومتخافيش عليا.

_خد بالك كل اللي قرب من الدكان قبل كده خسر واتأذى.

انا عارف ليه الحاجة خيرية بتقولي كده، بس انا قررت أقف قصاد الكيان الغريب ده وأثبت حقي ومش هسيب الدكان، لكن للأسف سمعة الدكان بقت وحشة والناس بتتكلم كتير عنه وعن شبح صفية، حتى مراتي بقت تنصحني اسيب الدكان لكن انا قررت هقف قدام الشيء الملعون اللي عاوز يقطع عيشي، أول حاجة عملتها كلمت فارس وقولتله يبعتلي الشيخ عطية مع إني كنت رافض التعامل مع الدجالين والسحرة وحددنا المعاد وروحت فتحت الدكان وقعدت أستنى الشيخ عطية، بس لما دخلت اتفاجئت لكن لما لقيته موجود عندي في الدكان وهو "عوض" السمكري، معرفش هو دخل هنا ازاي، ومش بس كده ده كلمني بطريقة غريبة بصيغة تحذير وكان صوته متغير كأن عشر أشخاص بيتكلموا في نفس الوقت

وقال:
_انت اللي اخترت الموت بنفسك، وانا ياما حذرتك.. انت عاوز تتحداني وهتلاقي الموت أقربلك، كل ما تخطي خطوة هتقرب من الموت وحياتك تنتهي، انت اللي فتحت الدكان وانت اللي بدأت.
"لحظات سكوت"
وبعد ما خلص كلامه خرج يجري وقعد على الرصيف اللي قصاد الدكان، أما انا وقفت في حالة ذهول مش قادر أستوعب اللي سمعته وخوفت أوي، بس إزاي اتراجع.. لا انا هكمل كلها شوية والشيخ يوصل، قعدت كل خمس دقايق أبص على السمكري، وهو كمان قاعد على الرصيف وبيبصلي لحد ما جه الشيخ عطية ومعاه فارس، وبدأت أحكيله التفاصيل وهو سألني:
_حصل ونزفت دم على الأرض؟ وكمان انا عاوز أعرف سبق وقضيت ليلة هنا؟
_الحقيقة انا نزفت دم فعلا، لكن منمتش ولا ليلة هنا.. فهمني هو فيه إيه؟!
_الدم بيستفز الجن والعفاريت، وبرضو لو نمت وقضيت ليلة كاملة في مكان انت شاكك إنه مسكون.
وبعدها طلب مننا نخرج ونسيبه جوه في الدكان لوحده ومحدش يدخل ولا يخبط عليه، كنت شايف في عنيه نظرات خوف وضعف وده خلاني أحس إن الشيخ عطية مش هيقدر يعمل حاجة، المهم لما خرجنا طفى اللمبات، ومابقيناش سامعينله أي صوت وقعد جوه على الحال ده يجي ساعة، وقتها قولت لفارس:
_خلينا ندخل، احنا مستنيين إيه؟
_لا.. اهدى كده، استنى وهو هيخرج.
سبت فارس واتحركت ناحية باب الدكان وقبل ما أفتحه لقيت الشيخ عطية خرج.. خرج وظهرلنا بوش بشع جدًا وله قرون ومليان شعر وكان لابس جلابية، انا خوفت من منظره المقرف وقعدت أضربه بالطوب وانا بقوله:
_أعوذبالله منك يا ملعون، أعوذ بالله منك.

عفاريت صفية

فارس فضل يمنعني ويقولي:
_ده الشيخ يا محمد.. اللي انت بتضربه ده الشيخ عطيه.. إيه اللي انت بتعمله ده؟ إيه اللي جرالك؟
لما الشيخ قرب مني إتأكدت منه ومن هيئته، معرفش إزاي شوفته شيطان بقرون، أما هو حط إيده على دماغي وكان بيتمتم بكلام غريب، خلاني اتنرفزت أوي وبقيت شايف الشيخ بأسنان طويلة كأنه مصاص دماء وعنيه لونها أحمر، وإيده بتحرقني كأنها جمرة نار اتنرفزت منه أكتر، وقولتله:
_ابعد عني.. ابعد عني.
وزقيته بكل قوتي الغريب بقى لما لقيته اتخبط جامد في حيط عالية ونزل على الأرض وهو بيصرخ من الآلام، وبيتلوى على الأرض، بعدها قعد يزحف لحد ما هرب وساب الشارع كله، وفارس كمان خرج معاه.. معرفش إزاي بقيت بالقوة دي، وليه هما الإتنين جريوا من قدامي، دخلت الدكان ولقيت عضم بشر موجود على أرضية الدكان والبلاط متكسر وفيه طلقات رصاص فاضية قديمة، وورق جرايد وقماش أبيض جمعت كل الأدلة اللي تثبت كلامي وأخدتهم كلهم معايا على البيت حتى معرفش الحاجات دي جات منين. وكتبت كل حاجة حصلت على الورق وسبت الورق في البيت، ومش هتراجع عن قراري، ورجعت الدكان تاني..
وحصلت حريقة كبيرة واتحرق الدكان واتحرق أبويا ومات،

انا ابقى "يوسف" ابن محمد اللي اشترى دكان صفية من الأستاذ عبدالله الدسوقي، أبويا اللي قرر ميخافش ويقف قدام عدو مجهول، رغم كل التحذيرات اللي جاتله، وقبل موته سجلي كل حاجة حصلت معاه من أول ما اشترى الدكان، انا النهاردة تميت ال18 سنة وعرفت السر اللي مستخبي ورا دكان صفية السر اللي أبويا ماقدرش يعرفه، بعد الحريق اللي حصل في الدكان ومات فيه أبويا، وأثناء البحث ورا الحادثة اكتشفوا حاجة غريبة جدًا لقيوا ورا كل رف من أرفف الدكان رف سري، والأرفف السرية دي كان جواها أوراق قديمة أوي كانت منشورات ضد الإنجليز بتحرض الشعب عليهم

عفاريت صفية

كانت صفية هي اللي بتوزعها ماهو نفس الشارع كان فيه الكبارية اللي الإنجليز كانوا بيسهروا فيه، ومع البحث في المكان لقيوا الجوابات اللي كانت بتيجي لصفية فيها الخطط اللي تمشي عليها، ولا عضم الميتين ده كان بقايا جثث العساكر الإنجليز اللي صفية قتلتهم بالخدع اللي وقعتهم فيها، أما اللي قتل صفية فهو ظابط جينرال تبعهم.. تبع الإنجليز حب صفية حتى قالوا إنه اتجرأ ومسك ضفايرها وهي ضربته، ولما رفضته شرب وسكر وهو سايق عربية من عربيات الجيش، وكانت صفية واقفة عند مدخل الدكان على العتبة يعني، وهو جه بسرعة خبطها بالعربية، وهي وقعت ودماغها اتشقت على عتبة الدكان ودمها سال ودخل لجوه الدكان ومن وقتها والدكان اتقفل، وبعد كام يوم الظابط نفسه اتقتل وفي نفس الشارع والحاجة خيرية هي اللي حكت الحكاية دي على حسب ما سمعت، وكل جيل سلم الحكاية للي بعده وصفية رجعت تاني علشان تحمي دكانها، وانا بعد ما عرفت ده كله اتكلمت مع ماما علشان أفتح الدكان وهي رفضت رفض تام وانا قولتلها إن الدكان من حقي وانا ورثته عن أبويا، وعلشان أثبتلها إن الدكان سليم ومافهوش أي حاجة روحت هناك بنفسي وانا معايا المفتاح ووقفت قدام باب الدكان وقبل ما أدخل المفتاح في الباب، ظهرت قدامي على الباب صورة صفية بنفس مواصفاتها اللي الناس قالتها وكمان لفت عليا ضفايرها وبقيت متكتف ومش قادر انطق ولا أتنفس لحد ما المفاتيح وقعت من إيدي، بعدها لقيت الضفاير بتتفك عن جسمي ورجعت اتحررت من تاني، مستنيتش لحظة وجريت وسبت المفاتيح على الأرض وخلاص بعد اللي شوفته ده انا هسمع كلام ماما ومش ممكن أقرب من هناك تاني، بس بعد كام يوم الناس قالوا إنهم لقيوا جثة واحد متلثم شكله حرامي وجثته ملفوفة بالشعر الأسود، لقيوا الجثة دي قصاد باب دكان صفية والباب مفتوح والمفتاح راكب في الكالون، ولحد دلوقتي لسه مستمرة الحكايات المرعبة حوالين دكان صفية

عفاريت صفية

ويفضل السؤال الأخير يترى شبح صفية هو السبب في موت أبويا ولا أبويا انتحر زي ما اتكتب في المحضر؟! الشعر الأسود والدم وعضم الميتين ودكان صفية المقفول كل دي حاجات تثبت إن شبح صفية موجود لحد النهاردة، ما هو بعد حادثة أبويا الكل بقى يخاف من الدكان وبقى يتعمله ألف حساب، ومن كام يوم كده واحد كلمني وقالي إنه عاوز يشتري مني الدكان والغريب بقى إنه عارف كل حاجة عن الدكان، ودي فرصتي ابيعه بالسعر اللي انا عاوزة ومن غير علم أمي، ولما سألت عرفت إن الراجل ده دجال بتاع سحر وأعمال.. أنا أبيعله الدكان وأسيبه يصفي حسابه مع شبح صفية ، رجعت البيت عند امي وبعدها بسنين حصلت حاجه غريبة اوي واحنا بنبني جامع علي قد الحال ،

عندنا في البلد الأهالي جمعوا مبلغ وبنوا بيه مسجد صغير ولما المسجد اتشطب.. واحد من أهل الخير بعتلنا مصاحف نحطها في الجامع، وبعتلنا نعش من اللي بينقلوا فيه الميتين وكمان بعت حوالي خمس أكفان، آيًا كانت الطريقة اللي وصلنا بيها التابوت انا كنت المؤذن في الجامع ومسؤل عن النضافة، المهم لما جات الصدقة كان من ضمنها تابوت أو خليني أقول نعش، التابوت ده حجمه كبير يعني مش هينفع يتحط في المسجد خصوصًا الأيام دي لأن فيه اصلاحات لسه شغالين عليها، ومينفعش نتخلص منه لأننا هنستخدمه لما نيجي ننقل حالات الوفاة بدل ما نروح نجيب نعش من قرية تانية وبرضو لأن مدخل البيت عندي واسع وفاضي أخدته عندي في البيت وسبته عند المدخل مؤقتًا لحد ما ألاقي مكان مناسب نحط فيه النعش، وأول ما دخلت بيه وانا شايله مراتي "أم محمد" ما انا اتجوزت ودلوقتي عندي محمد ابني علي اسم ابويا الله يرحمه اللي خاض شهور مع شبح حليمه المهم قالتي:

_إيه اللي انت جايبه ده يا يوسف؟ ده نعش؟! وداخل بيه علينا؟! ده فال وحش

عفاريت صفية

_فيها إيه يا ولية! أومال أوديه فين؟
_ترجعه من مكان ما جبته ده أنا من أول ما شوفته وجتني اتلبشت.
_هو انا جايبهولك تنامي فيه؟! ده هيترمي هنا كام يوم كده لحد ما ارجعه المسجد.
عاندت مع مراتي ودخلته وسبته في مدخل البيت، وعدي اليوم كله عادي بالإضافة للخناقات الكتير اللي تمت بيني وبين مراتي وبسبب كده أخدت العيال وسابت البيت، كبرت دماغي وقولت هتقعد يومين في بيت أهلها وهترجع وروحت فردت جسمي على سريري ونمت وانا لوحدي في البيت، وبمجرد ما غمضت عنيا صحيت مفزوع وبنهج.. بصيت حواليا لقيت نفسي نايم جوه التابوت وعرقان أوي، خرجت من التابوت وقلعت الجلابية ورميتها على الأرض وانا مصدوم وبسأل نفسي انا وصلت لهنا إزاي؟! غسلت وشي وروحت الأوضة اللي هنام فيها وهناك بمجرد ما دخلت لقيت واحدة ست لابسة أسود في أسود، كانت واقفة ومدياني ضهرها، لما شوفتها قدامي قولتلها:
_انتي مين يا ست؟ وإزاي دخلتي هنا؟
اتلفتت وكشفت عن وشها.. وانا اتخضيت ورجعت لورا تاني لما شوفت بشاعة منظرها، اتنهدت هي بصوت مسموع ولأن البيت فاضي الصوت شق سكون الليل ومع تاني مرة تتنهد فيها بنفس الطريقة صرخة في وشي صرخة عالية صوتها ردد في البيت كله وبسببها أغمى عليا حتى ماحستش بالخبطة اللي اتخبطها في رجل السرير وسببتلي جرح في دماغي حسيت بيه لما فوقت وفتحت عنيا لقيت مراتي واقفة قدامي وبدل ما تساعدني أو حتى تنور اللمبة دي قالتلي:
_قولتلك ابعد عن التابوت وانت مسمعتش الكلام، عاجبك اللي حصلك؟ وطول ما التابوت عندك ياما هتشوف.
رديت عليها وانا متأثر باللي حصلي ومش مستوعب الطريقة اللي هي بتكلمني بيها
_انتي.. انتي بتكلميني كده ليه، ده.. ده فيه دم بينزل من دماغي

عفاريت صفية

ضحكة بطريقة مرعبة وخرجت من باب الأوضة وهو مقفول، اتصدمت من اللي شوفته وسندت على السرير وقومت نورت اللمبة ولفيت الجرح بعمة بيضة وخرجت لفيت البيت كله وانا بنده لأم محمد، لكن مفيش حد غيري في البيت.. مكنش قدامي غير إن اتصل بمراتي وللأسف قفلت موبايلها بس لما كلمت ابني ، رده خلاني اتخشبت مكاني وانا واقف على السلم وده لما سألته:

_ محمد .. محمد يا حبيبي هي ماما فين؟

_ماما من لما جينا وهي نايمة جوه ومش راضية تصحى وعماله تتكلم وهي نايمة وسمعتها بتكرر جملة اللي هيدخل التابوت هيموت، وانت ليه يا بابا جبت التابوت ده عندنا البيت؟!

مردتش على ابني وقفلت المكالمة، هو إيه ده؟ إيه اللي بيحصل انا شوفت مراتي فوق وإزاي هي في بيت أهلها وكمان دي خرجت والباب مقفول.. حاسس إن دماغي هتنفجر والجملة اللي قالها محمد !! اااااااه يترى إيه اللي بيحصلي ده؟ وفي وسط ده كله اتكررت الضحكة مرة تانية.. صوت ضحكة واحدة ست الصوت اتردد في البيت كله، واللي أول ما سمعته خرجت بره وقفلت الباب ورايا ونمت على العتبة وانا ساند دماغي على الباب معرفش نمت إزاي في الوضع ده ولحد ما طلع النهار ولقيت حد من الجيران بيصحيني، حتى راحت عليا صلاة الفجر، وبالنهار فتحت الكُشك اللي انا بشتغل فيه.. وقضيت يومي بره البيت وحاولت أعرف مين اللي اتبرع بالنعش والحاجة اللي جات معاه وموصلتش لحاجة، والناس قالولي إن كده الأجر هيروح ومش لازم أعرف مين اللي بعت الحاجة، المهم في أخر اليوم رجعت البيت وكنت نسييت إن مراتي مش في البيت ، وكمان لقيت الباب موارب دخلت ونورت النور، ووقت جمب التابوت حوالي دقيقة كاملة وانا ببصلة وفي الأخر رفعته وقلبته

عفاريت صفية ٢

وهنا لقيت على الجهة التانية مربع محفور ومكتوب فيه "تابوت صفية 2007 "
مفهمتش ده معناه إيه؟ بس المختلف في النعش ده إن خشبه من احسن أنواع
الخشب كان متوفر زمان، سبته مقلوب وطلعت فوق قولت يمكن تكون أم محمد
بعتتلي أكل زي عوايدها أما بتروح بيت أهلها... ولما طلعت فوق بدأت أسمع
صوت دق خشب جاي من تحت، نزلت بسرعة دورت في البيت كله ملقتش
حاجة، بس واحدة واحدة ، بدأت اسمع صوت الدق واطي جدًا وقتها انا
معرفتش أحدد الدق جاي منين، بس لما قربت من النعش وكان مقلوب زي ما
سبته وزقيته برجلي في اللحظة دي الدق وقف، بعدها علطول رفعت النعش
وملقتش حاجه تحته، بس لاحظت حاجة غريبة تبان صغيره لكنها علقت معايا،
النعش كله لونه أسود كان فيه جمب متقشر وعليه قطرات دم ناشف، لمسته
بإيدي والدم كان بيتقشر وقتها موبايلي رن، مراتي هي اللي بتتصل، بس لما
فتحت المكالمة رد محمد ابني وقال:
_الحقنا يا بابا، ماما تعبانة أوي وكل شوية تنام وتصحى مفزوعة وتصرخ، وتبدأ
تقول كلام غريب.
_طب خلاص خلاص يا حبيبي أنا جاي حالًا.
روحت بسرعة على بيت حمايا وهناك لقيتهم كلهم خايفين ومرعوبين
وحابسين عفاف مراتي في أوضة لوحدها، ومحمد مع جدتة، ولما فتحت الباب
ودخلت لقيت مراتي في وضع مش كويس وهي مرمية في الأرض على ضهرها
وبتزحف بطريقة غريبة، وبتطلع دم من بوقها..وفجأة وقفت قدامي، ووشها
بدأ ياخد تجاعيد بشكل معين كدة ولما ملامحها اتغيرت افتكرت ملامح الست
اللي شوفتها عندي في البيت مسكت إيد أم محمد وهزيتها جامد علشان تفوق
من اللي هي فيه، لكن لسه زي ما هي وكمان عنيها بدأت تنزل دم

عفاريت صفية ٢

سبتها في الأوضة وخرجت لقيت محمد بيقولي:
_يا بابا هي ماما مالها دي من لما انت جبت التابوت وانا خرجت عند جيرانا ورجعت لقيتها نايمة جوه التابوت صحيتها وقتها قامت مفزوعة وعيطت وجابتنا على هنا.
كده انا فهمت، خرجت بسرعة جبت الشيخ عبدالله شيخ الجامع، ورجعت معاه أول ما شافها قالي:
_روح حط إيدك على دماغها واقرألها قرآن، واعملها رقية شرعية لحد ما تهدأ، وان شاء الله خير.. بس انت مش عارف اللي حصلها ده من إيه؟
_ايوه.. التابوت، أقصد ال.. النعش، هي نامت جواه وانا كمان، فجأة كده صحيت لقيتني نايم جواة معرفش إزاي ده حصل.
_طب خلاص ابقى خرج التابوت من عندك، وانا هسأل وأعرف النعش ده حكايته إيه.
عملت زي ما الشيخ قالي، والحمد لله عفاف بقت كويسة، ولظروف معينة مش هينفع أبات عند أهل مراتي.. وعلشان كده رجعت البيت لوحدي، وأول ما فتحت الباب زقيت النعش برة قدام الباب وسبته وطلعت فوق غيرت هدومي ونمت وعلى نص الليل كده صحيت على صوت حد بيخبط على الباب جامد، قومت مفزوع وقتها الصوت اختفى كان أشبه بصوت الدق اللي سمعته امبارح قومت بصيت من الشباك مكنش فيه أي حد في الشارع.. واتأكدت من كده لما قولت:
_مين.. مين اللي بيخبط؟
ولأني كنت تعبان رجعت نمت وبمجرد ما روحت في النوم لقيت الدق والتخبيط رجعوا تاني وبطريقة مزعجة أكتر من الأول.. اتضايقت أوي وقومت ولعت سيجارة ونزلت أشوف مين اللي بيخبط وأول ما فتحت الباب شوفت قدامي الشيء اللي متوقعتش إنه يحصل لقيت الشيخ عبدالله نايم جوه النعش، صحيته وهو كمان فاق ومش مستوعب هو فين وجه هنا إزاي دخلته عندي

وقولتله:
_انت كويس يا شيخ عبدالله؟
_الحمدلله يا ابني، بس انا مش عارف انا جيت هنا ازاي؟ _يظهر إن التابوت ده وراه مصيبة، احنا نحرقه ونخلص منه.
_لا... أوعى تحرقة، اللعنة اللي عليه انتشرت وسطينا، واللعنة مش هتختفي بحرق النعش... إحنا لازم نشوف حكايته إيه علشان قبل ما نخلص منه نخلص من اللعنة معاه ، سكت وانا حاسس بذهول من اللي سمعته ده، يعني احنا دلوقتي متحاوطين بلعنة مش عارفين هي إيه؟
المهم كل اللي عملته الليلة دي إن انا وصلت الشيخ عبدالله بيته هو قريب من هنا.. ولما رجعت لقيت التابوت جوه البيت مع إني مدخلتوش عديت من جمبه وحطيت رجلي على أول سلّمه والنور قطع ومع قطع النور والضلمة اللي بقت حواليا في كل حته سمعت صرخة طويلة عالية رنت في كل أركان البيت، وبعدها رجع الهدوء مرة تانية للبيت وهنا سمعت صوت بيردد وبيقول:
_رجع التابوت وأوعى تحرقه... اللي هيحرق التابوت النار هتحرقه، رجعلي التابوت، رجعه ، سمعت الكلام اللي اتقالي وحاسس إن انا اتخشبت مكاني، حتى بالعافية بلعت ريقي، وحاولت أتحرك وأخرج بره البيت وفعلا مشيت ناحية الباب وانا بفتحه كانت إيديا منملة، ولما فتحته وخرجت الباب اترزع ورايا وانا برة، وقعدت على العتبة لحد ما النهار طلع وده تاني يوم تفوتني صلاة الفجر، قومت صليت وفتحت الدكان بتاعي، والغريب بقى وانا واقف في الدكان عدى عليا الحاج حسين وهو من أهل البلد وقالي:
_جرا إيه يا يوسف ده انا جيت أصحيك علشان تصلي معانا الفجر كنت هتضربني وزقيتني وانا في سن والدك، وكمان انت كنت نايم على العتبة ليه، هو انت بقيت بتشرب يا ابني ولا إيه حكايتك؟!
انا مش فاكر أي حاجة من اللي هو بيحكيهولي، حتى انا مصدوم من اللي بسمعه.. لكن رديت عليه بأدب وقولتله:
_لا يا عم حسين انا مقصدش، بس متأخذنيش يعني أصل انا تعبان شوية

عفاريت صفية

وقعدت أخد وأدي معاه في الكلام... ولما مشي رجعت البيت صورت التابوت والكتابة اللي عليه، ورجعت تاني الدكان عدى يجي ساعة وانا بحاول اتواصل مع حد من المشايخ الكبار، لكن مع دخول الشيخ عبدالله عليا وانا بشتغل قرب مني وقالي في ودني:

_انا وصلت للراجل اللي اتبرع بالنعش والحاجة اللي جاتلنا، ولما سألته قالي إنه اشترى التابوت من واحد بيبيع حاجات قديمة ومستعملة وأداله النعش ده ببلاش.. المهم انا جبت عنوانه شوف نروحله امتي علشان نعرف حكاية التابوت ده إيه؟!

_احنا لسه هنستنى... هقفل الدكان ونروحله دلوقتي.

وفعلاً قفلت الدكان وروحت انا الشيخ عبدالله على عنوان الراجل اللي قالي عليه، أول ما وصلنا بيته كان فيه جمب بيته حتة أرض واسعة وفيها سراير قديمة وكراسي وطربيزات، وكان معلق على بيته يافطة صغيرة مكتوب عليها "موبليات المعلم شحاتة للأثاث المستعملة" لما خبطنا على الباب خرج المعلم شحاتة، وقتها الشيخ عبدالله قاله:

_انت المعلم شحاتة احنا جاينلك من طرف الأستاذ اسامة اللي انت أديتله النعش.

_أيوه.. أيوه أي خدمة؟! تؤمرني بحاجة يا استاذ؟

بدأت أحكيله كل اللي حصل معانا من أول ما استلمنا النعش وانا بحكيله حسيت زي ما يكون فيه حاجة مش عاوز يقولهالنا، بس لما خلصت كلامي قالنا:

_انا معرفش أفيديكوا بحاجة... حتى انا أما بتيجي سيرة الجن والعفاريت جتتي بتتلبش، بس كل اللي اقدر أساعدكوا بيه إن انا أوصلكوا بالراجل اللي جابلي النعش وهو راجل تربي اسمه الحاج عباس.. راجل عجوز بس فيه صحة ولسه بيدفن الميتين، ساكن في الشارع اللي ورا القهوة روح هناك واسأل عن "عباس التُربي" ألف مين يدلك

عفاريت صفية

بصينا لبعض انا والشيخ عبدالله كنا حاسين إننا قربنا نوصل لحاجة ومن عند شحاتة بتاع الموبيليا مشينا لحد القهوة ومن هناك أخدنا توكتوك لحد بيت الحاج عباس التُربي، ولما وصلنا عنده وقعدنا اتكلمنا معاه وحكيناله كل حاجة لقينا فجأة قام وقف وقالنا:

_تعالوا ورايا الكلام هنا مينفعش.

خرجنا معاه وركب توكتوك وأخدنا معاه وطلع بينا على المدافن اللي هو بيشتغل فيها ودي قريبة من بيته مسافة عشر دقايق، لما وصلنا.. الحاج عباس مشي قدامنا وسط الجبانات وانا والشيخ عبدالله مشينا وراه لحد ما وقف عند جبانة وقال:

_دي جبانة صفية وابنها، صفية اللي لقيتوا اسمها مكتوب على النعش من تحت واللي متعرفهوش إن النعش نفسه كان جوه قبر صفية.

اتصدمنا بسبب الجملة اللي سمعناها، وبرضو لسه مجمعناش الفكرة، ياترى إيه حكاية صفية وابنها وهنا الشيخ عبدالله قال:

_انا مالي بده كله، احنا هنخلص من النعش ده إمتي؟ وإزاي؟ ده احنا مابقيناش عارفين ننام.

رد الحج عباس وباين عليه حاسس بالذنب وقالنا:

_انا كل اللي أعرفه من زمان لما جيت أدفن الست صفية، بناتها قالوا لي أخلي النعش جوه معاها في القبر، وده اللي حصل.. سبت النعش جوه ولحد من شهر كده جه فريق متطوعين بيخرجوا الأعمال والسحر المدفون في المقابر وهما بيلفوا على كل المدافن وخرجوا أسحار وأعمال كتير ولما وصلوا جبانة صفية وفتحوها لقيوا النعش وقالولي إن النعش ده خشبه من أحسن أنواع الخشب وممكن أستفيد منه وأنا أديته لشحاتة بتاع الموبيليا وقولتله يتصرف فيه، ومن هنا النعش وصلكم

عفاريت صفية

سكتنا انا والشيخ عبدالله، مش عارفين إحنا وصلنا لإيه؟ احنا وصلنا لحيطة سد... سكوتنا مدامش كتير لأن الحاج عباس التُربي قالنا:

_انا هقولكوا على حاجة يمكن تساعدكوا ، بكرة الشيخ عثمان هيجي يصلي معانا الجمعة وبعد الصلاة أقعدوا اتكلموا معاه.. على فكرة هو اللي كان مجمع الفرقة وعملوا تنضيف للمقابر من السحر والأعمال وهو اللي خرج النعش من جبانة صفية وأبنها، يعني هو الوحيد اللي هيعرف يساعدكوا في المشكلة دي.

اتفقنا مع التُربي إننا هنيجي بكرة نصلي الجمعة سوا ونقابل الشيخ عثمان، وفعلا رجعت البيت على غياب الشمس كده واطمنت على مراتي والولاد بالتليفون، وانا وداخل البيت عديت من جمب النعش من غير ما أبصله خالص وكنت حاسس إن قلبي مقبوض، وانا طالع السلم سمعت صوت الباب بيتقفل رغم إن انا قفلته وانا داخل، والصوت ده خلاني رجعت اتأكد لقيت فعلا الباب مقفول، رجعت تاني طلعت السلم ودخلت أوضة نومي منكرش إن انا كنت خايف وكل ما الوقت بيعدي قلبي بيتقبض أكتر، وخايف النور يتقطع زي ما حصل امبارح، وكمان موبايلي فصل شحن.. سبته جمبي وقعدت على السرير و هنا سمعت همس في ودني بيقول "تابوت صفية لازم يرجع"

قومت مفزوع من مكاني وقعدت أتلفت حواليا، إيه اللي انا سمعته ده، كنت حاسس إن فيه حد معايا في البيت، بلعت ريقي وقعدت على السرير مرة تانية، والمرة دي حسيت بحركة برة الأوضة، مشيت خطوة خطوة ناحية الباب وفتحته وبمجرد ما فتحت الباب لمحت واحدة ست ملفوفة بملاية سودة ومش باين منها أي ملامح، وكانت نازلة على السلم، انا يدوب لمحتها.. لأن في اللحظة دي النور اتقطع وقتها اتكلمت وقولت:

_مين؟! مين هنا؟! فيه حد هنا؟

محدش رد عليا وانا نزلت وراها وانا بكرر نفس الكلام

عفاريت صفية

لحد ما وصلت عند التابوت وهناك شوفتها الست اللي لابسة ملاية سودة وكانت قاعدة فوق التابوت وشكل عنيها اللي باينة من تحت الملاية بشع، رجعت لورا وانا بقرأ قرآن في سري وقتها بس سمعت صرخة عالية نفس الصرخة اللي سمعتها امبارح واختفت الست، أما انا كنت حاسس برعشة في كل حتة في جسمي بس الحمدلله النور رجع وخرجت بره البيت اتفاجئت بالشيخ عبدالله جايلي، قولتله:

_خير يا شيخ عبدالله؟! إيه اللي جابك؟

_انا جيت أقولك بلاش تبات في البيت النهاردة وروح بات في الجامع.

_ما انا بعد اللي شوفته ده مكنتش هبات في البيت.

_اتصلت بيك مرة واتنين ولما لقيت تلفونك مقفول جيتلك بنفسي.

_فيك الخير يا شيخ عبدالله.

روحت نمت الليلة دي في الجامع وتاني يوم روحنا انا والشيخ عبدالله نصلي الجمعة مع الحاج عباس التربي وبعد الصلاة عرفنا على الشيخ عثمان وقعدنا اتكلمنا معاه وحكيناله كل حاجة ولما خلصنا كلامنا الشيخ طلب من الحج عباس حاجة غريبة قاله:

_يا حاج عباس الجماعة قالوا اللي يعرفوه، لكن لسه الحكاية مكملتش واللي هيكملهالنا حد من طرف المرحومة صفية، ابعت هاتلنا واحدة من بنات صفية.. اكيد بيجوا يزوروا قبر أمهم وانت تعرفهم.

_أيوه.. أيوه أعرفهم، حالا هبعتلهم حالًا.

وبعد اكتر من ساعة واحنا قاعدين في بيت الحاج عباس، لقيناه داخل علينا ومعاه واحدة ست وشايلة طفل على كتفها، أول ما دخلت رمت السلام وقالت:

_انا "سامية" بنت المرحومة صفية.

الشيخ عثمان ادالها فكرة عن اللي حصل وسألها:

_وانتوا ليه دخلتوا النعش جوه الجبانة بعد ما دفنتوا أمكوا؟

عفاريت صفية

_زمان يا سيدنا الشيخ كان ابويا بينه وبين عمي خلافات ومشاكل كتير، وابويا مات وماعرفناش ناخد حقنا من عمنا ولما كبر أخويا "حاتم" فتح مجل نجارة وأمي كانت تقوله دور على حق أبوك ومتسبش حقك وحق اخوات حتى لو فيها موت عمك، وحاتم علشان يفرح أمه عمل النعش وكتب عليه اسم أمي وتاريخ سنة 2007، وقالها انا هجيبلك جثة عمي هنا جوه التابوت ده، ولما عمي عرف بالموضوع بعت بلطجية خلاهم دبحوا حاتم وهو في المحل وحطوه جوه النعش، ولما أمي عرفت ماستحملتش موت ابنها الوحيد وفي اليوم اللي اتدفن فيه، أمي قالتلنا "لما أموت دخلوا النعش معايا جوا قبري" وشربت سم ونامت جوه النعش وتاني يوم الصبح لقيناها في المحل نايمة جوة النعش بس كانت ميتة، وفعلا نفذنا وصيتها وقولنا للحج عباس يدخل النعش معاها التربة.

فضلنا كلنا ساكتين لحد ما الشيخ عثمان قالنا:
_تروحوا تجيبوا النعش وتيجوا على الترب على قبر صفية.
روحنا انا والشيخ عبدالله جبناه وروحنا بيه على قبر صفية لقينا الحج عباس فاتح لنا القبر، والشيخ عثمان واقف بيقرأ قرآن وهناك دخلنا النعش لقبر صفية مرة تانية وقفلنا القبر، والشيخ عثمان طمنا وقالنا:
_خلاص يا جماعة متقلقوش.. مش هتحصل حاجة تاني وإن احتاجتوني في أي وقت كلموني.
سلمنا على بعض وكل واحد فينا رجع لبيته وحياته وانا كمان رجعت مراتي والعيال للبيت، لكن الحياة الهادية مادامتش كتير لأن بعد اسبوع واحد بعد نص الليل الباب خبط نزلت اشوف مين لقيت التابوت عند مدخل الباب وصفية قاعدة فوقه وبتضحك بصوت مزعج ومع صوت ضحكتها الكهربا اتقطعت

عفاریت صفیه